الإمام الحسين في شعر العصر الوسيط بين الحضور الأيقوني والتوسّل الديني

م.م. هادي علي هادي
جامعة بابل /كلية الآداب / قسم اللغة العربية

Imam Hussein in the poetry of the Middle Ages between iconic presence and religious supplication

Assistant Lec.Hadi Ali Hadi
Babylon university / college of Arts / department of Arabic language
Hadi.ali@uobabylon.edu.iq

خلاصة

يتشاطر شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) وحضورها في التراث الشعري العربي تحديدا اتجاهان اولهما وراثي والثاني شخصي وذاتي

يتحدد الاول بعلاقة القرابة من النبي محمد (ص) فالإمام الحسين هو سبط رسول الله

اما الاتجاه الثاني فيتحدد في المواقف الفردية والذاتية التي اتخذها الامام الحسين (عليه السلام) من الحياة، –المواقف الثورية والاصلاحية تحديدا– ولكن ما حصل هو أن الشعراء قد غلّبوا الجانب الاول الوراثي في تفضيلاتهم وتناولهم لشخصية الامام الحسين (عليه السلام) ولم يتطرقوا إلى الجانب الثوري او انهم لم يُوفّقوا الى الوقوف على الخصوصية التي تميز هذا الجانب من شخصية الامام (عليه السلام) .... العلاقة الوراثية منسجمة أكثر مع البيئة الجماعية أما العلاقة الثورية فهي أكثر انسجاما مع السلوك الذاتي المستقل ...الثوريُ ذاتيٌ ومتفجرٌ وانتقاميٌ بالمعنى الإيجابي اما الجماعي فهو علائقي منسجم مع الجماعة تتحكم به ويستمد منها أفكاره وقيمه وشرعيته في التحرك...

تغليب الجانب الديني المبني على العلاقة الوراثية فيما يخص شعر رثاء الامام الحسين (عليه السلام) في العصر الوسيط يوحي بأن قيم الشاعر وأفكاره ومتبنياته العقلية مستمدة من الجماعة أو هي عمومية واقعة ضمن المشاع العام من الأفكار؛ الأمر الذي جعل صور الالم والفقد والبكائيات تغلب على هذا الشعر.

اما قيم الثورة والتمرد فقد كان حضورها مواربا في هذا الشعر على الرغم من ان هذا الشعر من المفترض انه يعالج هذه القضية اي قضية الثورة، هذه الاشكالية هي ما سنحاول هذه الورقة عرضه ومحاولة الوقوف على تفاصيله

كلمات مفتاحية:
الامام الحسين (عليه السلام)، شعر العصر الوسيط، ايقونة، التوسل الديني، البكاء، الرثاء.

summary

The personality of Imam Hussein (peace be upon him) and his presence in the Arab poetic heritage specifically share two aspects, the first is hereditary and the second is personal and subjective.

The first is determined by the relationship of kinship with the Prophet Muhammad (PBUH), as Imam Hussein is the grandson of the Messenger of God

The second is determined by the individual and subjective positions that he takes on life - revolutionary positions specifically - but what happened is that the poets dominated the first hereditary aspect in their preferences and treatment of the character of Imam Hussein (peace be upon him) and did not address the revolutionary aspect or they did not succeed in identifying the specificity. Which characterizes this aspect of the personality of the Imam (peace be upon him)... The genetic relationship is more consistent with the collective environment, while the revolutionary relationship is more consistent with independent, self-behavior... The revolutionary is subjective, explosive, and vengeful in the positive sense, while the collective is relational and consistent with the group controlling it. He derives his ideas, values, and legitimacy from them...

The predominance of the religious aspect based on the genetic relationship with regard to the poetry of lamentation for Imam Hussein (peace be upon him) in the Middle Ages suggests that the poet's values, ideas, and mental foundations are derived from the group or are general and located within the general commons of ideas, which made the images of pain, loss, and lamentation predominate in this poetry. .

As for the values of revolution and rebellion, their presence was obscure in this poetry, even though this poetry is supposed to address this issue, that is, the issue of revolution. This problem is what this paper will attempt to present and try to find out its details.

:Keywords

Imam Hussein (peace be upon him), medieval poetry, icon, religious supplication, crying, lamentation

مقدمة

أسهمت حالة التراجع والانهيار الحضاري في فترة العصر الوسيط العربي في صعود أغراض شعرية الى الواجهة الثقافية.. مثل شعر رثاء المدن وشعر رثاء اهل البيت والامام الحسين (عليه السلام) تحديدا؛ لا سيما في مراكز نشاط التشيع في العراق .. والسبب يكمن في محاولة استلهام العبر من هذه الشخصيات ذات العمق الديني وهو نوع من التعويض الجماعي الذي مارسته الجماعة الثقافية للتغطية على

عجزها عن ايجاد حلول واقعية بديلة عن مجرد الاستحضار الشعري العاطفي لهذه الشخصيات. اذ ان هذه الشخصيات مثل شخصية الامام الحسين (عليه السلام) تختزن الى جانب الزخم الديني، زخما ثوريا كما أنها تحيل الى معجم كامل من افكار الرفض والتمرد وقيم التغيير الايجابي واستنهاض الروح المعنوية العالية والدفاع عن المظلومين... الا أنّ هذا الاستحضار للقيمة الرمزية لم يكن دائما باتجاه تعزيز الروح الفعالة والثورية، بل سلك مسلكا آخر باتجاه تحويل الواقعة الى مبرر لحالة الخضوع والقبول بالواقع المرير عبر تعزيز قيم المظلومية والرضا بالقضاء والقدر.

إن من الثابت في هذا المجال هو أن شعر الرثاء العربي يمثل الوعاء الحاضن لرؤى الشعراء حول الموت، "ان الرثاء يقترن بالموت وليس في العالم امة لم تعرف الرثاء كما انه ليس فيه امة لم تعرف الموت فالرثاء وجد عند كل الامم والشعوب بادية وراقية متحضرة"[١] ، وعبر شعر الرثاء يمكن الوقوف على اشكالية البحث الا وهي رؤية شعراء العصر الوسيط للإمام الحسين (عليه السلام). كيف فهموه وكيف قاموا بتوظيف هذا الرمز في شعرهم وماهي المسافة الفاصلة بين الشعراء في هذا العصر وبين الامام الحسين (عليه السلام)؟ وهل اخترق الشاعر في هذا العصر جدار القدسية باتجاه انتاج رؤى شعرية حرة ومستقلة تعبر عن رمزية الثورة الكامنة في شخصية الامام الحسين (عليه السلام) ام ان هذا الشعر كان اعادة انتاج للرؤى الدينية في قوالب شعرية؟

تعد واقعة كربلاء من أكثر الاحداث والوقائع مفصليةً في التأريخ الاسلامي ان لم تكن الاكثر اثارة للجدل والنقاش، فقد مثّلتْ نقطة تحول على مستوى الوعي الانساني عند المسلمين بشكل عام لما أحدثتْه من صدمة كبيرة نتجت عما تعرض له آل البيت في هذه الواقعة.

إن الشكل المأساوي الذي انتهت اليه الاحداث في واقعة الطف ينبئ بالأهمية الكبيرة للحدث، وإن ما أقدم عليه الامام الحسين (عليه السلام) من تضحية كبيرة تكشف عن درجة الانهيار الذي بلغته منظومة القيم والتعاليم الاسلامية في ذلك الوقت بحيث ان الامر أصبح بحاجة الى تضحيات كبيرة لإعادة الامور الى مسارها الصحيح. كما ان الشخصيات الاساسية الفاعلة في معركة الطف وهي شخصيات اهل البيت واصحاب الامام الحسين تحولت الى رموز تعكس الحالة المثالية التي ينبغي ان يكون عليها الانسان، وبعبارة اخرى فان الانسان الموجود في واقعة الطف هو صورة

الانسان الاكمل على مستوى الوعي والتقوى والشجاعة. الامر الذي حوّل الاشخاص في تلك الواقعة الى رموز تقترب من مستوى الاسطورة في بعض الاحيان مع احتفاظهم بالطابع الشخصي الدنيوي.

ما يهمنا هنا هو التناول الشعري لهذا الظاهرة وكيفية تعاطي الشعراء مع رموز واقعة الطف واحداثها وتحديدا الامام الحسين (عليه السلام) وهل كان ايقونة للثورة والفداء والاصلاح في هذا الشعر ام كان حضوره دينيا ووسيلة لطلب الشفاعة فقط. وهو امر يرتبط بمدى وعي الشعراء وتحديدهم للدور الذي يمثله الامام الحسين (عليه السلام) وباقي شخصيات واقعة الطف

المستوى الاول / التوسّل الديني:

الأسس والمبررات:

قلنا ان شعر رثاء الامام الحسين (عليه السلام) سار في محورين المحور الثوري الذي يحاول استنهاض الهمم واستلهام قيم الرفض والتمرد من شخص الامام الحسين (عليه السلام) وواقعة الطف، والمحور الثاني يتمثل في الجانب الطقوسي اذا صح التعبير اي الاهتمام بواقعة الطف؛ بوصفها مناسبة طقسية تتمثل في اعادة احياء الشعائر الدينية وبالتالي تناول شخصيات اهل البيت من الجانب الديني المتمثل بكونهم شفعاء للامة لا غير، يقول الشاعر ابن العرندس الحلي في رثاء الامام الحسين [٢]

وفجعتَ قلبي بالتفرق مثلما	فجعتْ اميةُ بالحسين محمدا
سبط النبي المصطفى الهادي الذي	اهدى الانام من الضلال وأرشدا
اسما الورى نسبا واشرفهم ابا	واجلهم حسبا واكرم محتدا
بحر طمى، ليث حمى، غيث همى	صبح اضا، نجم هدى، بدر بدا
السيد السند الحسين اعم اهـ	ـل الخافقين ندا واسمحهم يدا
لم انسه في كربلا متلظيا	في الكرب لا يلقى لماءٍ موردا

يجدر بنا الوقوف هنا على مجموعة من الملاحظات:

١- غلبة التقليد على البناء الفني لهذه الابيات وهو ملمح ثابت في اغلب شعر العصر الوسيط او يكاد يكون كذلك.

٢- ان القيم التي يمجدها الشاعر في الامام الحسين هم قيم تقليدية مستمدة من الثقافة العربية الاسلامية عموما، إذ إن هذه القيم تصلح لتطبيقها على اية

شخصية اسلامية، فلو رفعنا الابيات التي يصرح فيها الشاعر باسم الامام الحسين لامكن اعتبار هذه القصيدة في مدح أية شخصية اسلامية اخرى.

٣- بناء على ما ورد في ٢ تكشف الابيات عن عدم فهم الخصوصية الكامنة في شخصية الامام الحسين بأبعادها الثورية والعملية لان القيم الواردة في النص قيم تقليدية تبدو وكأنها جاهزة .

وفي قصيدة اخرى يقول ابن العرندس الحلي[٣] :

إمام الهدى، سبط النبوة، والد ائمة، رب النهى، مولى له الامرُ
إمام بكته الانس والجن والسما ووحش الفلا والطير والبر
له القبة البيضاء بالطف لم تزل تطوف بها طوعا ملائكة غرُ
له تربة فيها الشفاء، وقبةٌ يُجابُ بها الداعي اذا مسّه الضرُ

تنهض هذه الابيات على آلية استلهام الحقائق التاريخية وصبّها في قالب شعري موزون، فالشاعر يرجع الى معجم تاريخي وشعري ويعيد انتاج صيغ تقليدية وافكار ثابتة مستمدة من البعد الديني في شخصية الامام الحسين لا البعد الثوري فيها، فيما يمثّل البيت الاخير التكريس النهائي لهذه الفكرة، فكرة ان يكون الامام شفيعا للامة.... فيما لا تخرج بقية ابيات القصيدة عن هذا المدار.. تعداد فضائل الامام الحسين وابيه الامام علي وجده الرسول الاكرم (ص)، فتتحول القصيدة الى مناسبة للمديح وبيان موقف الشاعر العقائدي.

نطالع في شعر الشفهيني ايضا نمطا مشابها من شعر البكائيات والنواح المبني على اعادة انتاج الواقعة التاريخية شعرا أي واقعة الطف فهو يقول[٤] :

لهفي على الخد التريب تخدُهُ سفها بأطراف القنا سُفهاكِ
لهفي لآلك يا رسول الله في ايدي الطغاة نوائحا وبواكي
ما بين نائحةٍ وبين مروّعٍ في اسر كل معانٍ افّاكِ
تالله لا انساكِ زينبُ والعدا قسرا تجاذبُ عنك فضلَ رداكِ
لم انس لا والله وجهك اذا هوتْ بالردن ساترةً له يمناكِ
حتى اذا هموا بسلبكِ صحتِ باسمِ ابيكِ واستصرختِ ثم اخاكِ

يبني الشاعر النموذج اعلاه على فكرة الاستصراخ وتجسيد المعاناة الذي عايشته السيدة زينب وهو امر يقترب من مستوى المعاناة الشخصية ولا يتناول الابعاد الثورية والملحمية في الواقعة، ان عرض صور المعركة والمعاناة الكبيرة لا يعد باي حال من الاحوال تناولا ملحميا للواقعة . إن التناول الملحمي يعني فيما يعنيه الحديث عن

الابعاد الخارقة في الشخصية التاريخية واستظهار القيم البطولية الكامنة في التجربة. وهو امر لا نجده في المثال اعلاه وما قبله وغيره كثير من شعر هذه الفترة اذ يغلب على شعر هذه الفترة طابع البكائيات الحزينة واظهار الالم والتفجع وذم الخصوم بسبب تجاهل النسب الرابط ما بين اهل البيت وبين النبي محمد وهو امر يمثّل خرقا للثوابت الدينية المتمثلة في حفظ رسول الله في اهل بيته كما بينت الكثير من الأحاديث والشواهد التاريخية.

ان استقصاء جميع النماذج الشعرية في هذا الاتجاه امر يكاد يكون مستحيلا بالإضافة الى انه ليس من المهام المبتغاة لهذا البحث فهو يبني منهجيته على اساس انتقاء عدد من النماذج التي تمثل الاتجاهين الذَيْنِ انتظم عليهما شعراء رثاء الامام الحسين.

المرتكزات الثقافية:

يمكن القول ان هناك مرتكزات ثقافية لهذا الاتجاه من الشعر تتمثل في استعادة الرابطة النسبية للإمام الحسين بجده وابيه وتكريس فكرة الافضلية النابعة من الافضلية التاريخية والدينية للشخصيات بشكل يعزل هذه الشخصية عن بعدها الثوري المتجذر فيها. فنحن عندما نقرأ شعرا مثل الذي تقدمَ ، نجد انفسنا ازاء عمومية الافكار ومشاعيتها، افكارٌ يمكن تقديمها عن أي شخصية دينية او تاريخية ذات حضور فاعل في الوجدان العام، وصور شعرية قابلة للتطبيق على اية حادثة ذات طابع مأساوي مشابه لما حدث في واقعة الطف. ما يلاحظ ايضا على شعر هذا الاتجاه هو انعدام التعبير عن الخصوصية الثورية والتغييرية الكامنة في هذه الواقعة، فهو على العموم شعر ينحو باتجاه النواح والبكائيات الكامنة في التفاصيل المأساوية للواقعة مثل مقتل الامام الحسين واهل بيته وتقطيع اوصالهم وسبي نسائهم الى اخر ذلك من صور المأساة العظيمة.

يقول الشاعر محمد بن حماد ت ٩٠٠ هـ [٥]:

لغير مصاب السبط دمعك ضائعُ ولا انت ذا تسلو عن الحزن جازعُ
و لا انت فيما تدعيه من الولا اذا لم تذب من لوعة الحزن سامعُ
فكلُ مصابٍ دون رزء ابن فاطمٍ حقيرٌ ورزءُ السبطِ والله فازعُ
أيا عينُ ابكِ للحسين وما جرى عليه وما جرّتْ عليه الخدائعُ
وليس لنا الّاك يابن محمدٍ امامٌ وان الدينَ والحقَ ضائعُ

الـى المـاء يجـري واللئـام تحوطـه كلـــون ســـماءٍ موجـــهُ متـــدافعُ

يتكـرس فـي هـذه القطعـة المسـتوى الـديني مـن التنـاول الشـعري لشخصـية الأمـام الحسـين فـي شـعر العصـر الوسـيط. وهـو المسـتوى الـذي يـتم وفقـه تنـاولُ الشخصـية فـي بعـدها الـديني التـأريخي ويـتم ايضـا رسـم تفاصـيل المعركـة والالام التـي مـرت بـال البيـت (علـيهم السـلام)، فيمـا يغلـب طـابع التأرخـة علـى هـذا المقطـع مـن القصـيدة وهـي فـي الغالـب لا تختلـف عـن هـذا المسـتوى. فالقصـيدة تـؤرخ للواقعـة وتفاصـيلها ويلاحـظ ايضـا انهـا مكتوبـة بلغـة التـأريخ لا بلغـة الشـعر، فالشـاعر يقصـد معانيـه ويعبـر عنهـا بألفـاظ مباشـرة وصـور يغلـب عليهـا طـابع التقريـر وكأنـه تـاريخ مكتـوب شـعرا. إن هـذا الشـعر يسـير بـالتوازي مـع المعجـم، لا ينـزاح عنـه ولا يتقـاطع معـه، وطاقـة المجـاز فيـه محـدودة بحـدود عديـدة اهمهـا مسـتويات الـوعي ومـدى عمـق التجربـة وسـيطرة فكـرة المقـدس الـديني التي تغل يد الشاعر عن الاتيان بجديد.

و فـي مـدار قريـب مـن السـابق يقـول الشـاعر مغـامس بـن داغـر الحلـي ت ٨٥٠هـ[٦]:

فصـلت صـروفُ الحادثـاتِ مفاصـلي و اصـــاب ســـهم النائبـــات مقـــاتلي
قطـعَ الزمـانُ عـرى قـواي وكلمـا قطـعَ الزمـانُ فمـا لـه مـن واصـلِ
خلـــط الزمـــان نعيمـــه بغمومـــه غـــدرا وشـــاب زلالـــه بـــزلازلِ

حتى يقول:

اخنـــى علـــى آل النبـــي محمـــد فأَصـــيبَ شـــملهمُ ببـــينٍ شـــاملِ
كـــانوا غياثـــا للـــورى و ســـعادةً وغيـوث خصـب فـي الزمـان الماحـلِ
لهفـي لمـولاي الحسـين وقـد غـدا فـي الطـف بـين مجالـدٍ ومجـادلِ
لهفـي لـــه فـــردٌ احـــاط برحلـــه مـــن رامـــحٍ للظـــالمين ونابـــلِ
لهفـي لـه عنـد الشـريعة يشـتكي عطشـا ولـيس إلـى الـورودِ بواصـلِ

لـن اعيـد الكـلام هنـا عـن الجانـب الفنـي التقليـدي فـي هـذه الابيـات. فمـن الواضـح انهـا اعـادة انتـاج للتقاليـد الفنيـة لـلأدب العربـي. ان مـا يهمنـا هنـا هـو المسـتوى الرؤيـوي المتمثـل فـي كيفيـة اسـتعادة الشـاعر للواقعـة التأريخيـة وتمثلهـا شـعرا، إذ يغلـب علـى هـذا الجانـب الطـابعُ المأسـاوي والفجـائعي، بـل ان جهـد الشـاعر فـي هـذه القصـيدة يتحـدد بالجانـب المأسـاوي دون اسـتعادة للقـيم الثوريـة، ان واقعـة الطـف تحولـت – بفعـل بسـاطة الـوعي

وسيطرة الوعي الديني على ذهنية الشعراء وبنائهم الثقافي- تحولت الى مناسبة لاستدرار الدموع وجلد الذات بسبب عدم مناصرة الامام الحسين(عليه السلام).

ومن الملاحظ انه (من ناحية المضمون ان المقطوعات التي قيلت في الامام بعد مصرعه كانت صوتا مدويا للرفض والاستنكار والتشنيع على قتلة الامام، وكانت صورة معبرة عن ندم اخرين ممن لم يشترك في المعركة، ثم تطور موضوع المراثي في القصائد التي نُظِمَتْ في اهل البيت لبيان مظلوميتهم، وحقوقهم المغتصبة وقد اتسع الموضوع بعد ذلك ليكون حجاجا ومخاصمات مبنية على اسس عقائدية)[٧] .

ان شعر رثاء الامام الحسين في هذه الفترة هو امتداد لشعر الرثاء في الفترات السابقة، فهو على المستوى الفني يتبع الموروث الرثائي في الكثير من السمات الفنية والخصائص الاسلوبية اما على مستوى الرؤية فقد كان هذا الشعر رهين الفترة الزمنية العصيبة التي عاشها الانسان العربي بعامة والشاعر العربي بشكل خاص .. لقد مرت البلاد العربية في فترة العصر الوسيط بحالة انكماش ثقافي تسببت في تراجع الانشطة الادبية وتقلص مساحات الابداع لصالح التجديد الشكلي الذي افرغ الشكل الادبي من محتواه الرؤيوي العميق الذي كان قد انجزه في مراحل ادبية سابقة.

ان هذا التقلص في المعطيات الحضارية ادى الى تحديد مديات الرؤية الشعرية وانكماش حدود الابداع الادبي الى مديات قصيرة ومحدودة تتناول القضايا في جوانبها القريبة التاريخية والدينية والعاطفية.

و لا بد من التنويه هنا الى اننا لا نقلل من اهمية هذا الشعر ولاننوي اخراجه من دائرة الاهمية التاريخية والفنية بل نحاول موضعة شعر رثاء الامام الحسين في اتجاهين اثنين بناء على رؤية نقدية تفترض حضور ثيمة الثورة والتمرد والرفض حضورا فاعلا في هذا الشعر.

المستوى الثاني / الحضور الايقوني :

ان قراءة شعر رثاء الامام الحسين من هذا الجانب يتضمن تتبع مشكلة اساسية وهي علاقة الشعر والادب عموما بالمقدس، بما ان الامام الحسين رمز من رموز الاسلام التي تحظى بتقدير وتقديس عاليين لما يمثله من زخم ديني وقدسي في الثقافة الاسلامية، لابد لنا اذا من الوقوف على هذه العلاقة بين الشعر والمقدس، الشعر بوصفه ممارسة دنيوية (غير دينية) اي انه ليس ممارسة عبادية، والمقدس بوصفه حضوريا اخرويا في الدنيا او قل انه حضور غير دنيوي، الشعر بوصفه احاطة بحالة

شعورية متحركة وغير ثابتة، والمقدس بوصفه ثابتا دينيا يمارس حضورا مستمرا في الثقافة بهذه الصفة (صفة التقديس).

هل يمكن القول ان شعراء العصر الوسيط قد تحرروا من سلطة التدين عند كتابة الرثاء في الامام الحسين واهل البيت؟ بعبارة اخرى هل كان الشاعر حرا في انتاج وتكوين رؤيته الشعرية ام انه كان خاضعا للرؤية الدينية في هذا المجال؟ الامر الذي يجعل رؤيته الشعرية مساوية للرؤية الدينية لهذا الرمز او متساوقة من تلك الرؤية الدينية، لا تخرج عليها ولا تحاول ابداع رؤية خاصة بها اي رؤية شعرية ذات طابع فردي.

إن الكلام اعلاه لا يعني الغاء المرجعية الثقافية الدينية، فالدين يبقى مرجعية فكرية وثقافية للشعراء العرب في هذه الفترة تحديدا بسبب انحسار الحراك الفكري والفلسفي وسيادة الانشطة الدينية نتيجة حالة الخوف والانفلات السياسي، ونحن لا نربط هنا بين الانحلال الحضاري وسيادة الدين والانشطة الدينية ولكنه نوع من اللجوء الى التدين لتعويض الخراب الذي أصاب الحياة على المستوى المادي. ولكن ينبغي على الشاعر في اية فترة زمنية اجهاد نفسه في التوصل الى رؤاه الخاصة التي يصنعها من تجاربه وثقافته المتنوعة وهو امر لم يتحقق الى حد كبير، اذا ان الشاعر في هذه الفترة كان يضع علامة اليساوي بين الدين والحياة وبالتالي الشعر اي بين الدين والشعر، الى الحد الذي جعل من الشعر ممارسة دينية (شعر الرثاء وتحديدا شعر رثاء الامام الحسين) .

الرؤية الشعرية هنا مستمدة من الابعاد الدينية للشخصية المقصودة في الرثاء الامر الذي يرسم حدود التناول الشعري بالحدود الدينية ليتحول شعر الرثاء الى بكائيات ومحاولة استدرار للدموع ليس الا، دون الوقوف على الجانب الثوري في شيء الامر الذي يتسبب في تحييد هذا الجانب من اذهان العامة بوصفهم متلقين للشعر .. و لان الشعر هنا يمارس دوره المعهود في الثقافة العربية وهو بناء الوعي الثقافي للجماعة، ساهم الشعراء من هذا الجانب في تكريس فكرة الحزن وجلد الذات بدلا من فكرة الاستنهاض واستلهام قيم التضحية والفداء وتغيير الاحوال والاوضاع التي يعيشها الفرد العربي.

عنوانات مميزة :

للشاعر العراقي ابن نما الحلي وهو العالم والفقيه المعروف (ت ٦٨٠هـ) كتاب عنوانه دال عليه (مثير الاحزان) وهو من كتب المقاتل وقد اثبت فيه عددا من اشعاره في رثاء اهل البيت وشهداء واقعة الطف[٨] اما عنوان الكتاب فهو يوحي بالحيز المعرفي والثقافي الذي تشغله الواقعة في ذهن الشاعر البارز ابن نما الحلي، إذ إنه يحدد الدور الذي تمثله الواقعة واخبارها سلفا، وهو اثارة الحزن والجزع والالم في نفوس المسلمين والشيعة بشكل خاص ومن شعره قوله [٩]:

اضحت منازل آل السبط مقويةً ... من الأنيس فما فيهن سكانُ
باؤا بمقتله ظلما فقد هُدمتْ ... لفقده من ذرى الاسلام اركانُ
رزية عمت الدنيا وساكنها ... فالدمع من أعين الباكين هتانُ
لم يبقَ من مرسلٍ فيها ولا ملكٍ ... الا عرتْه رزيّاتٌ وأشجانُ
واسخطوا المصطفى الهادي بمقتله ... فقلبه من رسيس الوجد ملآنُ

وله ايضا[١٠]

وقفتُ على دار النبي محمدٍ ... فألفيتها قد اقفرت عرصاتُها
وامست خلاء من تلاوة قارئٍ ... وعُطّلَ فيها صومُها وصلاتُها
فأقوتْ من السادات من آل هاشمٍ ... ولم يجتمع بعد الحسين شتاتُها
فعيني لقتل السبط عبرى ولوعتي ... على فقدهم ما تنقضي زفراتُها

لا تخرج هذه الابيات عن مدارات المأساة والتعبير عن الالم الكبير والخسارة المرة التي تعرض لها الاسلام والامة في هذه الواقعة. ان آل البيت يمثلون اختصارا للامة فهم نقطة ارتكاز الدين وما تعرضوا له من ظلم يمثل خرقا للأسس التي ينبني عليها هذا الدين

بناء القصيدة التوسّلية :

يمكن من حيث المبدأ اطلاق تسمية القصيدة التوسُّليّة على كثير من نماذج شعر الرثاء الذي تناول الامام الحسين واهل بيته عليهم السلام . ونعني به ذلك الرثاء الذي ينتهي الى غاية دينية ذات طابع نفعي تتمثل في طلب الشفاعة للشاعر من اهل البيت .. وقد اعتمد الشعراء على وسيلة التعداد في امثلة كثيرة، اذ يبدأ الشاعر بتعداد مناقب اهل البيت ومزاياهم ودورهم الكبير في الاسلام وتثبيت اركانه ثم يعرج الى المقارنة مع الواقع المرير الذي آلت اليه احوالهم عليهم السلام في واقعة الطف لكي يضعنا اخيرا

امام صورتين متقابلتين متضادتين، تمثل الاولى الدور المركزي الذي يميز آل البيت، فيما تعكس الثانية الواقع المرير المأساوي الذي آلوا اليه جميعا بلا استثناء، وفي هذا الشعر " تستمد فاعلية القصيدة قوتها من المسافة الفاصلة بين التعداد وهدفه"(١١) فالشاعر يستخدم التعداد لإثارة الانتباه للقادم، للصدمة التي يوجهها الى المتلقي ثم ينتهي الى طلب الشفاعة بشكل يوحي بان الهدف من هذا الشعر هو طلب الشفاعة لا غير والامثلة على ذلك كثيرة منها قول الخليعي(١٢) :

طلاب العلى بالسمهري المقوّمِ وضرب الطلا مَرْمَى الى كل مغنمِ

وفيها يقول :

الى المثل الاعلى الى مركب الى العروة الوثقى الى البطل الكمي
كريم نجار طالبيّ مناسبٍ الى ذروة المجد الحسيني ينتمي
مناقبُ جلّتْ ان تُعدَ لواصفٍ فبالعقلِ لا تحصى ولا بالتّوهمِ
يقوم مع الركن اليماني قانتا يؤم بروح الله عيسى بن مريم
ومن حوله زهر الملائك عكفٌ وانصاره من كل اشوس معلمِ

ويستمر الشاعر في رسم الصور الشعرية المبنية على آلية التعداد تعداد المناقب والحوادث التأريخية والمواقف الوجودية لينتهي الى الابيات الاخير التي تمثل العقدة في هذا البناء الفني ليقول:

اليكم بني الزهراء اهدي قصائدا ارصّفها مثل الجُمان المنظمِ
أسُرُّ بها السادات من اوليائكم وُأنفذُ في اعدائكم زرق اسهمِ
فيارب جدد لعنهم وعذابهم وصلّ على ال النبيّ وسلّمِ
وخففْ على العبد الخليعي وزره ولا تُخزهِ في موقف الحشر وارحمِ

يوضح بناء التعداد في هذه القصيدة الغاية الدينية من نظمها، فالوازع لها هو الوازع الديني والرغبة بالشفاعة والدافع اليها كذلك ينطلق من الرغبة في اظهار الولاء لا في اظهار الطابع الفلسفي للتمرد والثورة الذي يلازم خط اهل البيت عليهم السلام.

خاتمة:

اننا لا ننفي الدور الكبير الذي يؤديه شعر الرثاء الفجائعي من هذا النوع، فهو شعر مهم، كبير القدر والمكانة الا اننا نثبت انه كان الشكل الاكثر حضورا في العصر الوسيط بسبب غلبة الرؤية الفلسفية التي يستند اليها؛ وهي رؤية تنظر الى

واقعة الطف بعين المأساة والفاجعة، وبالتالي فإن هذه الرؤية ستكون حتما قاصرة عن التقاط وحي الثورة والصمود والتحدي الكامن في دوافع هذه الواقعة واحداثها وشخوصها. ولكن على الرغم مما تقدم فان شعر الرثاء البكائي هذا كان له دور كبير في حفظ الواقعة في الوجدان الديني وفي الوعي الجماعي للأفراد، حتى وان كان قد قلّص المساحة التي تشغلها او من المفروض ان تشغلها الواقعة في اذهان ووجدان العامة الى حدود اضيقَ من تأثيراتها المرتجاة– حدود التفجع والبكاء-يبقى ان التفجع والالم جزء اساسي من مشهد الحادثة الكربلائية العظيمة التي نكبت الوجدان الانساني وثلمت من ضمير البشرية ثلمة لا تُردم.

الهوامش:

[١]) الرثاء، شوقي ضيف، دار المعارف،ط٤، ص٩.

[٢]) ديوان صالح بن العرندس الحلي ٨٤٠هـ، صنعة سعد الحداد،ط١، ٢٠١٧، مطبعة الكوثر، قم المقدسة،ص٣٩.

[٣]) المصدر نفسه ٥٥-٥٦

[٤]) ديوان الشفهيني مهدي عبد الامير مفتن مجلة مركز بابل العدد الاول حزيران ٢٠١١ /٢٢٤ -٢٢٥

[٥]) الحسين في الشعر الحلي ، سعد الحداد، المكتبة الحيدرية، ايران، قم المقدسة، ١،٢٠١٥/٩٦-٩٧

[٦]) الحسين في الشعر الحلي ، ٩١/١

[٧]) الامام الحسين في الشعر العراقي الحديث ،يوسف علي حسين، العتبة الحسينية المقدسة ط١ كربلاء ص ٣٤.

[٨]) يُنظر ادب الطف او شعراء الحسين من القرن الاول الهجري حتى القرن الرابع عشر، دار المرتضى، بيروت لبنان، ١٩٨٨، ص٩٩.

[٩]) ادب الطف ٩٨.

[١٠]) المصدر و الصفحة نفسها.

[١١]) ديوان ابن الحجاج ابي عبد الله الحسين ابن احمد المتوفى ٣٩١هـ، جمعه سعيد الغانمي، منشورات الجمل، ط١، بيروت لبنان، ٧٠/١.

[١٢]) ديوان الخليعي، تحقيق سعد الحداد، دار الضياء للطباعة والتصميم، النجف، ط١، ٢٠١٠، ص٤٣

المصادر

- ادب الطف او شعراء الحسين من القرن الاول الهجري حتى القرن الرابع عشر، دار المرتضى، بيروت لبنان، ١٩٨٨.

- الامام الحسين في الشعر العراقي الحديث ،يوسف علي حسين، العتبة الحسينية المقدسة ط١ كربلاء .
- الحسين في الشعر الحلي ، سعد الحداد، المكتبة الحيدرية، ايران، قم المقدسة، ٢٠١٥
- ديوان ابن الحجاج ابي عبد الله الحسين ابن احمد المتوفى ٣٩١هـ، جمعه سعيد الغانمي، منشورات الجمل، ط١، بيروت لبنان.
- ديوان الخليعي، تحقيق سعد الحداد، دار الضياء للطباعة والتصميم، النجف، ط١، ٢٠١٠.
- ديوان الشفهيني مهدي عبد الامير مفتن مجلة مركز بابل العدد الاول حزيران ٢٠١١
- ديوان صالح بن العرندس الحلي ٨٤٠هـ، صنعة سعد الحداد،ط١، ٢٠١٧، مطبعة الكوثر، قم المقدسة.
- الرثاء، شوقي ضيف، دار المعارف،ط٤.

The References:

- Al-Taf literature or poets of Al-Hussein from the first century AH until the fourteenth century, Dar Al-Murtada, Beirut, Lebanon, 1988.
- Imam Hussein in modern Iraqi poetry, Youssef Ali Hussein, Holy Shrine of Hussein, 1st edition, Karbala.
- Al-Hussein in Al-Hilli Poetry, Saad Al-Haddad, Al-Haidariyya Library, Iran, Holy Qom, 2015
- Diwan of Ibn Al-Hajjaj Abu Abdullah Al-Hussein Ibn Ahmed, who died in 391 AH, compiled by Saeed Al-Ghanimi, Al-Jamal Publications, 1st edition, Beirut, Lebanon.
- Diwan Al-Khalai'i, edited by Saad Al-Haddad, Dar Al-Diyaa for Printing and Design, Najaf, 1st edition, 2010.
- Diwan Al-Shafhini Mahdi Abdel Amir Muften, Babylon Center Magazine, First Issue, June 2011
- Diwan of Saleh bin Al-Arandas Al-Hilli, 840 AH, Sana'a Saad Al-Haddad, 1st edition, 2017, Al-Kawthar Press, Holy Qom.
- Al-Rathaa, Shawqi Deif, Dar Al-Maaref, 4th edition